العشاق

رشاد ابو شاور :

دائرة الثقافة والاعـــلام فـــي م٠ت٠ف٠

بين انهاء الرئيس عبد الناصر لـــدور البوليس الدولي في شرم الشيخ ، عـــام ١٩٦٧ ، وبين الاسابيع القليلة التي تلت هزيمة حزيران ، شهر ونصف الشهـــر تقريبا ، وفي هذه الفسحـــة الزمنيـــة المحدودة، يحرك رشاد ابوشاور شخصيات روايته « العشاق » ، على رقعة جغرافية محدودة نسبيا ، ايضا ، حيث لا تغـــادر شخصيات الرواية منطقة اريحا الفلسطينية الا لماما ، وبصورة جزئية تكاد لا تذكر ، فهل بمقدور زمان ومكان محددين ان يمنحا العشاق فرصة ان يحققوا روايتهم ؟ ربمـــا يرى الكثيرون مثل هذا الامـــر صعبـــا (وربما تطرف بعضهم فاعتبره مستحيلا) الا ان الزمان الروائي ـ كما يقول روجيـــه غارودي ـ يكون اقرب الى الحقيقة ، بمـــا هو تعبير عن مبادرات الانسان ، لا بمـــا هو ساعات وتقاويم محشوة بالاحداث ، وعلى هذا فان مبادرات « العشاق » بما تحمل من غنـــى وخصوبة هي المعيـــار ، فالاحداث ـ كما يقرر غارودي ايضا ـ هي في الرواية ما يحدث الانسان ويخلقهـــا وليست مجرد معطيات جامدة ٠

و « احداث » رواية العشاق تنبثـــق من اللحظة المهدة لفجيعة العرب الفظيعة في حزيران ، وتمتد لتغطي لحظة حزيران نفسها ترقبا وحدثا ونتائج اولية ، امـــا متلقو هذه الفجيعة ، فهم الفلسطينيـــون في اريحا ، هذه المدينـــة الجبـــارة بتضاريسها وناسها وقيظها ٠ اذن فالزمان ـ على محدوديته الوقتية ـ خصب خصوبة الارض التي تحمل قيمة العشاق ، ويأخـــذ الزمان والمكان فرصة مضاعفة من خـــلال الملحق الذي ثبته الكاتب في مدخل الرواية وعرض فيه ـ على امتداد سبع وعشرين صفحة ـ جوانب مدهشة من مدينة اريحا ، التي يجب ان يسميها مدينة القمر ، حيـــث يلتقط ببراعة لا تخفى ، احداثا منتقـــاة من تاريخ المدينة ، منذ الغزو العبـــري الاول الى سقوطها في ايدي الصهاينـــة ، مع تركيز على خصوصيتها الجغرافيـــة (من الصعب احصاء عدد المرات التـــي اورد فيها الكاتب ان اريحا اخفض نقطـــة في الكون) الى جانب الاستفاضة فـــي الحديث عن قيظها المجنون ، وشوارعهـــا وحجارتها ومائها وهوائها ، وهذا كلـــه شاهد على معاناة اهلها على ايدي الغزاة والحاكمين والمتنفذين ، هذه المعاناة التـــي لا يعبر عنها بالشكوى مطلقا ، وان كانت فياضة بالحـــزن والسخط والسخرية ، ويتعاظم دور هذا الملحق في الروايـــة مرتين : الاولى عبر الايماءات التاريخيـــة الذكية واسقاطها على اللحظة الراهنـــة (مثلا ، الاشارة الى جبل التجربة ومعناه في حياة السيد المسيح) والثانية فـــي التقاط الكاتب لعدد مـــن الشخصيـــات الحقيقية التي وردت في الملحق وزرعها ،